

(تصوير مروان طحطم)



◀ يمكن القول، إنه ومنذ نهاية الحرب في أوائل التسعينيات، ينقسم تاريخ الشارع إلى مرحلتين

◀ في مطلع التسعينيات اكمل الشارع نهوضه وتمركزت فيه بعض العربات لبيع الحلويات العربية والكمك

◀ الجديد في الامر انه ومنذ ثلاث اواربع سنوات، وابنية هذا الشارع القديمة - نسيباً - تواجه عمليات هدم

للناس، لأنه يستوعب عدداً أكبر منهم، وهذا هم أساسي في الفترة الحالية. وقد يضيف القِيمون في آرائهم شروحاتاً عن مواصفات لا يمكن شرحها إلا باستخدام لغة أجنبية، وذلك سعياً من أصحاب هذه المشاريع لإبهار الناس مجدداً. المحصلة أن حجم الشارع بدأ يتقلص أيضاً.

كان هناك مبنى وديع بمحاذاة محطة البنزين المعروفة في شارع الأسعد، استكان في قاعدته فرن ومحل بيع العصير. المحلان كانا يشكّلان عنصريين أساسيين من المشهد في نظر السكان، ووجودهما بمحاذاة بعضهما البعض مالوف جداً. لكن بعدما اتخذ القرار بالهدم، ما حدث هو الآتي: استأجر صاحب الفرن محلاً صغيراً في مبنى مجاور، وانتقل محل العصير إلى بناية أخرى في الشارع، إلى محل أصغر أيضاً. سلخ واحدهما عن الآخر، واقتلع المبنى من الشارع. أما الذين يهّمهم المشهد والمدينة، فلهم الله. الشارع الذي اعتاد سكانه شراء مناقيش الزعتر والخضر، والكنافة بالجبن، في أيام اللولو، أصبح فيه مصرفان من أهم المصارف، والنشاط فيهما بلغت النظر. السؤال هو: إلى أي درجة تغيرت حال أهل شارع أسعد الأسعد المادية، وكيف امتلكوا ذهنية تشجعهم على اللجوء إلى المصارف بهذه السرعة؟ ربما تغيرت. لكن إلى حد كبير؟ علينا أن لا نغفل هنا أن المصارف لا تقوم بنقلاتها على نحو عبي. تدرس وتخطط، ثم تنتقل إلى شارع ما، ثم تنقل إليه الحياة معها. وبالإمكان مراجعة تجربة مدارو، في سباق متصل بهذه النقطة تحديداً. المصارف تأتي بالجديد دائماً معها.

إلى يمين البنك...

مشهدياً، يمكن وضع كل ما تغير في هذا الشارع في كفة، والمصرفان في كفة أخرى. وجودهما لا يزال مستغرباً حتى الآن. المصارف التي تمركزت في شارع الأسعد أبهرت سكانه، الذين كانوا قد أصبحوا ضحايا لدعايات المصارف. والدعاية نوعان. مباشرة بدأت تبنيها الشاشات من جهة، وأخرى غير مباشرة تبين للفرد أهمية امتلاك حساب مصرفي من جهة أخرى. نتحدث عن كل ما يحث على الاستهلاك. تخيلوا مثلاً محلاً يبيع الأدوات الكهربائية، أو معارض السيارات، أو كل هؤلاء الذين يعملون في خدمة المصارف، إذ يسهل التعامل معك عند امتلاك حساب مصرفي بهدف «التقسيط»، وكله بهدف راحة المواطن طبعاً، عدا عن «البرستيج» الذي ينتج من اقتناء بطاقة حساب مصرفي آنذاك. في شارع الأسعد، الشعبي، مصرفان ضخمان بعمارة مهيبية وموظفات يرتدين تنانير أنيقة، ويتحدثن بالإنكليزية. المصارف تصير معلماً بسرعة. فإذا أردت طلب أي شيء «أونلاين» مثلاً، أو أردت أن تدل عامل الدليفري إلى منزلك في الشارع، عليك أن تقول مقابل «البنك» أو المرفق الذي إلى يمين «البنك»، وسيستدل القادم بسهولة تامة. استهلاك باستهلاك.

الدليفري والتسوق أونلاين، والمصرف طبعاً. لا يمكن للمرء من أمام المصرف إلا أن يتفحصه من الداخل حتى ولو كان يمر من أمامه كل يوم. اختيار شارع أسعد الأسعد دوناً عن باقي الشوارع لإنشاء مصرفين ليس اعتباطياً، وأحد أهم الأسباب التي تقف وراء ذلك هو سهولة جذب فئة لم تسمح لها الظروف بخوض عمليات الإيداع وسحب القروض، وبالتالي فإن واقع وجود مصرف قرب البيت يمثل مغامرة تستحق التجربة.

لا يمكن إنكار حقيقة أن امتلاك حساب في المصرف ضروري اليوم لأسباب عدة، لذلك، يثير وجود المصرف في شارع الأسعد (الذي من المفترض أنه شعبي) الاستغراب أقل من وجود منشآت أخرى مثلت بدورها تحولاً في هوية الشارع وطبائع أهله. شارع أسعد الأسعد هو نموذج عن غالبية الشوارع التي كانت تتخذ طابعاً شعبياً ليتغير في ما بعد. في الشارع، يمكن رؤية مدرسة تعلم فيها العديد من أهالي الحي في طفولتهم، وقد تحولت إلى موقف للسيارات.

◀ إلى أي درجة تغيرت حال أهل شارع أسعد الأسعد المادية، وكيف امتلكوا ذهنية تشجعهم على اللجوء إلى المصارف بهذه السرعة؟

◀ لا يمكن للمرء من أمام المصرف إلا أن يتفحصه من الداخل حتى ولو كان يمر من أمامه كل يوم

◀ أهل الشارع. عموماً، يهتمون بالموضة خاصة الملابس التركية التي يُدعّمونها بسخاء